تمهيد: لقد أثر تنوع التضاريس والمناخ بتونس على الناحية الاقتصادية ،بالإضافة الى الموقع الاستراتيجي الممتاز، حيث نتج عنه تنوع في النشاط الاقتصادي الذي تمثل فيما يلي:

1. الزراعة:

تحتل الفلاحة مكانة هامة في اقتصاد تونس، وقد ساعد على ازدهارها وتنوع محاصيلها ومنتوجاتها عدة عوامل نذكر منها:

1.1. نوعية ملكية الأراضي:

- **الملكيات الخاصة:** وهي المستغلة مباشرة من طرف أصحابها، وهي تتصف بعدم الاستقرار وصغر مساحتها، أغلبها يقع بالقرب من المدن، وهي تستغل في انتاج الخضر والفواكه والحبوب.

- **الملكيات المشاعة (أراضي عربي):** يغلب عليها الطابع اليدوي والتنظيم القبلي، تستغل جماعيا حسب حاجة وقدرة أفراد القبيلة تحت مراقبة "شيخ الدوار" ،وغالبا تستغل في انتاج الحبوب والرعي.

- **ملكيات الدولة (أراضي المخزن أو البايلك):** وهي الأراضي التي وقعت حيازتها من طرف الحكام بالشراء او عند المصادرة، يستخدمون فيها العمال المستأجرين(الخماسة)، وهي تستغل في انتاج الحبوب.

- **أراضي الوقف:** وهي المحبسة على مقاصد خيرية والموضوعة باعتبارها وقفا خيريا.

2.1 الإنتاج الزراعي: عرف الإنتاج الزراعي تطورا ملحوظا وتنوع الإنتاج مثل: الأشجار المثمرة خاصة الزيتون، الخضر والبقول الجافة وأنواع الحبوب (القمح والشعير)، ويعود الفضل الى الاندلسيين الذين أدخلوا أساليب ومزروعات جديدة، اما المناطق الداخلية فكانت تمارس فيها الزراعة الغير المسقية مع ممارسة تربية الحيوانات والرعي.

أما الأدوات المستعملة فكانت تقليدية تتمثل في المحراث البسيط، المنجل...، ونظرا لانتشار الكوارث الطبيعية والأوبئة، وكذا الثورات والتمردات الداخلية، أيضا استخلاص الضرائب المجحفة على الفلاحيين وكذلك الحملات العسكرية، كل هذه الظروف أدت الى الحد من الإنتاج الزراعي.

2. الصناعة:

تركز النشاط الحرفي في المدن الرئيسية والاعتماد على المواد الأولية المتوفرة محليا، فتوزعت المشاغل اليدوية والورشات التقليدية في الازقة والاحياء الشعبية، عرفت بأسماء الصناعات التي اختصت بها ومنها:

- **صناعة النسيج:** تتمثل في صناعة الشواشي، الزرابي، الاقمشة....

- **صناعة الحدادة ومعالجة المعادن والأسلحة وتحضير البارود:** تتمثل في صناعة السيوف، البنادق، المدافع....

- **صناعة الجلود:** تتمثل في صناعة البروج، المحافظ، الأحذية...

- **صناعة الخشب و بناء السفن:** تتمثل في صناعة الخزائن، الأبواب، القوارب، السفن الحربية...

- **صناعة الخزف والأدوات الفخارية:** تتمثل في الزليج ادخلوه الاندلسيون....

- **صناعة المجوهرات والحلي:** تتمثل في صناعة الذهب والفضة...

- **صناعة المستحضرات والعقاقير:** تتمثل في صناعة الصابون، تقطير ماء الورد...

كانت تعتمد أساسا على المواد الأولية المحلية المتوفرة وعلى اليد العاملة الاجنبية في الصناعات الاساسية، حيث لم تعرف تطورا من حيث النوعية أو الكمية نظرا لمنافسة المصنوعات الاوربية المستوردة و الامتيازات، و كذلك ثقل الضرائب المفروضة على الصناع إضافة الى الكوارث الطبيعية و الحروب.

3. التجارة:

لقد أصبحت المدن محاور رئيسية للنشاط التجاري وتنوعت التجارة الى:

1.3 التجارة الداخلية: لقد أدى تنوع الإنتاج الزراعي، الحيواني والصناعي الى ازدهار النشاط التجاري، فأصبحت المدن مراكز تجارية، بهذا نجد انتشار العديد من الأسواق مثل: سوق السكاجين (خاص بالسروج)، سوق البلاغجية (البليغة)، سوق الباي، سوق الشواشين، السوق الحديد، سوق العطارين...منها اليومية، الأسبوعية، الشهرية والسنوية ويتم فيها تبادل السلع...

2.3 التجارة الخارجية: بحكم موقع تونس الجغرافي الاستراتيجي المطل على البحر الأبيض المتوسط، تعددت بها الموانئ الحيوية، مما جعلها تربط علاقات تجارية مع عدة دول اوربية منها فرنسا، بريطانيا، اسبانيا، الدويلات الإيطالية (البندقية، جنوة) وكذلك الولايات المتحدة الامريكية، بالإضافة الى تجارة القوافل مع الدول المجاورة (الجزائر، طرابلس الغرب، المغرب الأقصى، بلاد السودان) والمشرق، حيث كانت تونس ملتقى طرق القوافل التجارية.

- **الصادرات:** تتمثل خاصة في زيت الزيتون، الحبوب (القمح والشعير)، الشاشية، المرجان....

- **الواردات:** تتمثل في المواد الغذائية، القهوة، الاقمشة، التبغ، الخمور، العبيد، الأسلحة، المواد الأولية...

- **العملة:** كانت العملات المحلية مختلفة بين النحاسية، الفضية والذهبية، تمثلت في الدينار الناصري الحفصي والسلطاني العثماني، الريال التونسي، أما الأجنبية نذكر منها الريال الاسباني، الفرنك الفرنسي.

- **المكاييل، الاوزان والمقاييس:** منها الصاع، الرطل، القنطار، المثقال، القراط، الذراع

4. النظام الجبائي: بعد تناقص غنائم الجهاد البحري، أصبحت الضرائب تمثل المصدر الرئيسي لدخل الدولة، وهي متنوعة نذكر منها:

- **اللزمة:** كانت تفرض على القبائل الجبلية

- **الغرامة:** كانت تؤخذ عن القبائل الممتنعة

- **الخطية والدية:** كانت تفرض على القبائل التي ترتكب المخالفات.

حيث فرض العشور على المحاصيل الزراعية والزكاة عن المواشي، اما الملكيات المشاعة خضعت لعدة مطالب مالية (الغرامة، المعونة، الخطية، المجبي، اللزمة، التويزة...)، وهي تؤخذ عينيا من المحاصيل أو تدفع نقدا حسب الظروف، بينما أراضي البايلك كان يؤخذ عليها كراء سنوي يعرف بالحكور، أما أراضي الوقف لا تخضع لأي ضريبة، بينما الصناع كانوا يدفعون رسوما، والأسواق مكوسا، حيث عمل حمودة باشا على اسقاط هذه الضرائب و استبدلها ب**الاتفاق المالي** (المشارطة)، ويسقط هذا الاتفاق المالي على الأهالي في حالة تعرض البلاد للكوارث الطبيعية و المجاعات.

خاتمة: أصبحت الزراعة، الصناعة والتجارة موارد اقتصادية هامة للبلاد، حيث ساهمت الجالية الاندلسية في تطوير النشاط الاقتصادي من خلال ادخال أساليب وتقنيات جديدة وحديثة، ساهمت في انتعاش الاقتصاد التونسي، بالإضافة الى بعض الإصلاحات التي ادخلها الحكام في هذا القطاع.